فنجان من قهوة مصر

شعر

جلال عابدين



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٢

لوحة الغلاف : د. أحمد نوار
تصميم الغلاف : **أميمة على أحمد**
التنفيذ الفنى : **عزة طلبة جمال**

الإهداء

إلى التوت الذى..

قد كان يسكننا

وخاصمنا بلا سبب وغادرنا

ولم نَعْثُرْ على العنوان

الن يأتى لنا يوما ليخبرنا

لماذا باع أيكتنا؟

لماذا ملَّ عشرتنا؟

ونحن نلوك فى فمنا..

وفى دمنا..

بقاياه التى راحت..

تعاتبنا .. تسائلنا ..

لماذا قد نسيناه؟

لماذا قد تركناه؟

بلا سُقيا .. ولالُقّيا ..

لماذا بعد غيبته ..

تفرقنا .. تمزقنا .. وأدمَّنا ..

حبوب الهجر والنسيان!!!

شكرا لكم

شكرا لكم يا إخوتى

هذا قميصى يارفاق فالبسوه..

وعطروه..

برغبة بيضاء منكم..

فى احتساء قهوتى

فإننى لكم مدين..

بالشعر والغناء..

واشتعال جُذْوَتى

شكرا لكم ياإخوتى

فكم غزلت من حريركم.. عباءتى

وكم كتبت من بحوركم.. قصيدتى

وكم حشوت من صدوركم.. وسادتى

وكم ضربت فى خيامكم.. بخيمتى

كما ادعيت أنكم.. قبيلتى

كل الذى أرجوه.. ياأحبتى

أن تعرضوا فى سوقكم.. بضاعتى

أن تقبلوا منى قميصى

أن تشربوا من قهوتى

أن تزرعوا بينى وبينكمو..

حدائق الوداد.. وبالمداد..

فلتكتبوا بعضا من الشعر..

الذى ادعيته..

على بيوت حيكم..

وفوق سور خيمتى

فنجان.. من قهوة مصر

ياابن العم..

تعال لنغسل «دمَّ» الحسين

وثوب الحسين

وقلب الحسين

فإنَّا أضعنا كثيراً كثيراً..

بلطم الخدود..

وشق الجيوب..

وشن الحروب..

وماعاد يوماً إلينا الحسين

ياصدام.. يابن العم

بسم الله.. لاباسم الدم

بسم رسول الله.. لاباسم رقاب القوم

باسم الجد الأكبر

باسم صلاة الجمعة والعيدين..

بمسجدنا الأموى وصحن الأزهر

باسم الموتى والأحياء..

ودماء الشهداء..

هل تقبل ياابن العم..

أن تشرب معنا..

فنجاناً من قهوة مصر؟

ممزوجاً بالهيل العربِّى

وحبوب البّن اليمنِّى

وقطوف التِّين الحلبىِّ

وثمار التُّوتِ المصرىِّ

لا بالسيّْفِ.. ولابالزَّيفِ الأمريكىِّ

ولا بالصَّلفَ الهِستيرىِّ

هل تَقْبلُ ياابْنَ العم..

أن تُلْقِى رايتَكَ الحمْراءَ

أن تفتح صفحتنا البْيضَاءُ

وكم يسعدنا ياابن العم..

أن يشرب معنا قهْوَتَنا..

فتاك عُدَىّ..

وقُرةُ عيْن أبيهِ قُصَىّ

ياصدام... يابن العم

اسمح لى بسؤال عفوى

سؤُالِ أخَوىّ..

هل أنت تحب فتاك عُدَيّ

وُقُرةَ عينْ أبيهِ قُصَىُ؟

هل تقبل أن تخدشه نسمه؟

أو تخطفه نجمه!

أو يلمسه نزقُ المْوج بدِجله؟

أو تجرحه.. بعض الكُرْديَّاتِ بِسوق البصرة؟

هل تقبل أن تلدغه نحلة؟

أو يخذل عينيه المشرقتين الضى؟

ياصدام.. يابن العم..

حطم كأسك.. راجع عسسك

وانفض خاتمك الحجرىّ

واقرأ دفْتَركَ المنسىّ

فتش فى بُرْدِتكَ.. وبين حسائك..

ولحْمَ شوائِكَ..

وستجد لديك..

آلف أسير.. مثل عدى

آلف كسير.. مثل قصى

قاتلهم سيْفٌ همجى..

حاصرهم زيف عجمى..

أمطرهم زيتٌ مغْلىّ..

لايعرف كيف يفرق بين عساكر تل أبيب

أو بين عجائز جارتنا

أوصبْيةَ حارتنا

أو بين محاجر ولد العم

ياصدام.. ياابن العم..

ارجع للحلم العربى

لن يجدينا نبش جراح..

نتناساها.. ولعقناها.. أغلقناها..

بتراب البن المغشوش.. والمرشوش..

برايات بيضاء..

تجمع شمل العرب جميعاً

فى وطن قومى

ياصدام ياابن العم..

عد لخيامك.. عد لصيامك..

عد لغرامك بالنخل العربى..

وبالخيل العربى

ياابن العم..

إفد ولديك بتقوى الله..

وأعد ماضاع بكفيك

لا بكفوف الصلف الأمريكى..

إغمد أسيافك ياابن العم

وأعد أضيافك ياابن العم

لبيت الكويت.. وأهل الكويت

وامسح لمن ظلموا بكفك دمعتين

واشعل لهم..

من نور قلبك شمعتين

ياصدام.. ياابن العم..

تعال لنغسل «دمً» الحسين

وثوب الحسين

وقلب الحسين

فإنَّا أضعنا كثيرا كثيرا..

بلطم الخدود..

وشق الجيوب..

وشن الحروب..

وماعاد يوما إلينا الحسين

دلائل التوحيد

وعند التشهد..

أوحد ربى..

بآيات شعرى

أذوب بحضرته السرمدية

أتوب بساحته المسجدية

أؤوب لجَّنته المخملية

فأطلق قولا غريب المعانى..

عجيب اللسان..

لم يكن نثرا ولا..

لم يكن شعرا ولا..

لم يكن كفرا ولا ..
سُلَّماً للتطاول أو..
علَّة للجنون
ولكنه رغبة فى التوحُّد..
لا ثورة للتحدى
فهل بان قصدى؟
وهل تقبلون.. إذا ماانتهيت..
من الشعر..
أو من أداء التشهد أن..
تذوب المسافات بين الشهادة..
وبين انطلاق القصيدة؟
وحين أصلى.. أوحد ربى..
وأربط بين الصلاة وشعرى
وبين القصيدة والفاتحة
تذوب المسافة بين انتصارى
وبين انكسارى فى البارحة

وبين الصلاة وبين القصيدة

فهل يغفر الله ذنبى..

ويقبل توبى..

ويمنحنى مفردات جديدة

توحد بين الصلاة

ونجوى الإله..

وتجمع شمل البلاد البعيدة

تلملم حبل القلوب الشريدة

بآيات عشق لكل البشر

برغم اختلاف العيون..

ونوع الجنون

وهل تقبلون.. إذا ماانتهيت..

من الشعر أن..

تذوب المسافات بين الصلاة

وبين القصيدة؟

وحين أزكى.. أوحد ربى

وأربط بين الزكاة وشعرى..

أسجل عند الزكاة..

قصائد عشقى وعتقى..

تؤكد أن الوجود سيفنى..

وأن الغنى منحة للإله

فيعرف كم سوف يبقى.. ويعلم ربى..

متى منتهاه..

يحث البشر..

لكى يزرع الحب فوق السنابل..

وصوت البلابل

ويحشو الفطائر بالأمنيات

يرش الشطائر بالشعر والأغنيات

فهل تقبلون.. إذا ماانتهيت

من الشعر أن..

تذوب المسافات بين الزكاة..

وبين القصيدة؟

وحين أصوم.. أوحد ربى

وأربط بين الصيام وشعرى

وأمسك عن كل ذنب ولكن..

أعانق فى السرِّ وجه القصيدة

أرشرشها بالصفا العبقرى

أقيِّدُ كل خُطاىَ الجريئة

أخاصم فيها جميع النساء

ألملم كل النوايا البريئة

وأعرف قدر الإله الذى..

علم الناس كيف يكون الصيام..

وكيف القيام

وكيف تكون مع الصبر..

أيامنا مستضيئة

فهل تقبلون.. إذا ماانتهيت..

من الشعر أن..

تذوب المسافات بين الصيام..

وبين القصيدة؟

وحين أحج.. أوحد ربى..
وأربُط بين الطواف وشعرى
وأغرق فى هالة من صفاء..
لجَّة من بكاء
أوجه عينى وقلبى وروحى..
لرب السماء..
وأدعو بكل الذى قاله الأنبياء
ويصفو دعائى..
ويعلو بكائى..
دليل على التوبة الصادقة
ولكننى فى ختام الدعاء..
علمت بأنى..
ربطت القصيدة بالتلبية
فهل تقبلون.. إذا ماانتهيت..
من الشعر أن..
تذوب المسافات بين الطواف..
وبين القصيدة

٢٠٠٠/١/٢٩

إعتذار من المنفى
«إلى العزيزة شبين القناطر»

وقد كانت لنا بالأمس أيام شِبينَّيةٌ

تعانقنا وتحرقنا

وتجعل خطونا المحموم

آلافا من الأميال

فنملك كل مافيها

أغانيها .. سواقيها ...

حواريها ... جواريها ...

ويعلو فى مآذنها ...

صدى موالنا الأخضر ...

---

*مسقط رأس الشاعر

وذكرى عشقنا الحيران

وإن يوما ..

تأجج صدرُنا شوقا

يكون النهر ثالثنا

فيلقفنا .. كصدر الأم فى لهفة

ويحضنُ عرينا المجنون فى رجفة

ويضحك من طفولتنا

ويسخر من فحولتنا

فنملأُ جرة حبلى

لفاتنة شبينيَّة

فتغمز غمزة كانت

لها فى عرفنا معنى..

ونلمح.. رجرجات الصدر تعلننا

بأن الليل موعدنا

وتخلف وعدها معنا

وفى غدنا ..

يثور خيالنا المهزوم

ونعلن ألف أكذوبة

عن امرأة شِبينيَّةْ

أتت فجرا تعانقنا

وتلقى تحت أرجلنا

تضاريسا شبينَّيةْ

ونضحك مثل عادتنا

ونحلم من سذاجتنا

بفاتنة شِبينَّيةْ

وقد كانت لنا بالأمس مملكة شِبينَّيِةْ

فدادينا من الحلم الشِّبينِىِّ

ملا بينا من النخل الشِّبينِىِّ

منازلها... بلا حرس ولا أبواب

موائدها... يلوذ لظلها الأحباب

توحدنا بساحتها

مع القمر الشِّبينِىِّ

مع الشجر الشّبينىّ

ثمار التوت تنبت من أصابعنا

طيور الحب تسكن فى مآقينا

رغيف واحد يكفى

وقرص واحد يشفى

وكل الناس أعمام وأخوال

وكل الناس عند الهم شيال

فلم نأكل سوى خبز شِبينىٍّ

ولم ننهل سوى ماء شِبينىٍّ

وان خفنا

نردد فى ليالينا

لحون العشق والموال

وأغنية شِبينِّية

وقد عاشت لنا بالقلب ملهمة شِبينّية

كتبت لأجلها الشعرا

نذرت لحُبّها النّذْرا

بذرت بأرضها البذرا

وورد جاء يخطفها

ليجمع فى عباءتها

دنانيرا خليجيَّة

ويصبح عندها تاج

ومملكة خليجيَّة

ويصبح بعدها عندى

مماليكُ مُتَّوجَةً

ومملكة شِبِينِّيةً

وقد عاشت لنا بالصدر آهات شِبِينَّيةً

تقول بأننا كنا..

ديوكا فى حواريها

ملوكا فى نواديها

ولكَّنا..

مع الأيام قد ضاعت ملامحنا

وبالترحال..

قد بليت عباءتنا

وصار عبيدنا سادة

وصار ملوكنا خدام

ولايبقى بجعبتنا

سوق قمر شبينى

وأغنية شبِينّيةَ

البكاء.. تحت سارية العلم

غَادِرينى..

أخْرُجى منى ولاتَستَعبدينى

إنِّى. كرهتُ الاحتلالَ

لِكُلِ شبرٍ فوقَ خَارطتى

فلا تَستَعْمرينى

أخْرُجى حالا من الصدْرُ الذى..

ماعادَ يَحْتملُ التنفسَ من هَواكِ..

وأطلقينى

منْ ألفِ عام أو يزيدْ..

وهَواكِ مُحْتَلُ لأوْردتى..

يُعربدُ فى شرايينى
إنِّى كرهتُ..
بأنْ يظلَ هواكِ
منقوشاً على صدْرى
ومنْحوتاً على هذا الْجبين
إنى اكتَشفْتُ بأنكِ السببُ الوحيد
لما أصاب العَقْل منْ وهن..
فأنْتِ جَرِيمتى الأولى
وأنتِ غَويمَتى الأولى التى..
نَصبَتْ شَباكَ القهْر لى..
وعيَّرتْنى..
بعْدَ موْتَىَ بالجنون
أخْرجى منِّى شظايا..
وحكايا قاهرية
ارحلى عنى تباريحا..
وتاريخا وأشواقا غَبيَّة

خذُينى َمن عباءَاتى

وأوْهام المروءاتِ

أعيدينى..

لأحْلام الطُفولاتِ

لأيام البرءاتِ

إلى الطفلِ الذى قدْ كانَ يحبُو ..

فوْق أرضٍ سرْمدية

لمْ يكن يعْرفُ أبدًا..

غيْرَ صدْر الأمّ أوطانا ندّية

لم يكنْ يعْرفُ أبدًا..

غيرَ أنشودة حُبٍّ..

وأغانٍ مخْملية

«يارب تنامْ.. يارب تنامْ

وأدبحْ لكْ جوزينى حمامْ»

لمْ أكنْ أبدا أنامْ

لمْ أكنْ أقبَلْ يوما

أنْ أجورَ على الحَمَامْ

لكننى..

عانقْت فى حَبوْى العَرائس والدُّمى

قبَّلتُ فى خَطْوىَ أعتابا نَديَّة

لكننى منذُ الطفولِة..

مْثلَ أمَّى..

كنت أحترف البكاء

كنتْ أدْمِنُ شُرْبَ قهْوتها..

وأبْكى مثلما تبْكى..

إذا جاءَ المساءْ

نبكى سوياً

من أجْل غيْبة..

ربّ مَنْزلِنا المُهابْ

ذاكَ الذى..

قدْ كان يندرُ أنْ نراه

قيلَ يوما..

إنه يحفرُ فى بحر القناه

وقيلَ يوما..

إنه يجْمعُ أحجار الهرمْ

ثم أجْمع بعْضهُم..

إنه يغْرسُ فوق الصدْر..

سارية العلمْ

ثم قالوا:

إنهّم قد شاهدوهُ..

يُلقى بقنبلةٍ على بعض الغزاه

وأنَهم قد أمْسكوه

وأنَهم قد أعْدَموه

وقال بعْضهّم:

بأنه فلتْ

وقيل إن بعضهم رآه..

يصْحَبُ امرأةَ جميلة

ربُما كانت خليلة

ربُما كانت حليلة

أمِّى تكذَبُ لاتصدَقُ..

كلَ أقوال الرواه

يَقسمونْ:

إنه «عابْدينُ» لاأحدا سواه

تأكُلُ الغيرةُ أمى..

ثم تُطْلِقُ ألفَ آه

وأنا أبْكى وأمْعنُ فى البُكاءْ

وأرى أمِّى تغنَى

ثم تُطْلِقُ دمعتَين

وأنا معها أشاركها الغِناءْ

«أسكُتْ يابنى..

ماتعَيَطشى..

بُكرة يْجينا ويْهنَينا..

ويْعَوِّض اللى فات»

وأنا أعانق صدْر أمِّى

ولاأكف عن البكاء

لأننى أيقنتُ..

أن أبى الذى قدْ غاب عنا..

الآن مات

أخرجى منَى صباً وصبابةً

غادرينى غُنْوةَ وَرَبابةً

ارْحَلى عنى هوًى ومحبةً

أنا لاأريدُك موطِنا وحَبيبة

فهواكِ يجْلدُنى..

يُعَذِّبُنى بلا ذَنبٍ..

ويُلقينى.. بناصيةِ الزمن

يُسلِّمُنى.. من الحُزْن النَبيل..

إلى الشجَنْ

ويَبيعُنى..

فى كُلِّ أسْواق النخاسة..

كالترابِ بلا ثمنْ

وكأننى..

ماكنْتُ أحْملُ بينَ كفّىَّ الكَفنْ

«بلادى بلادى.. فداك دمى

وهبت حياتى فِداً.. فاسلمىً

فلَتسْلمى.. ولْتعْلمى..

أنى.. بطابور الصباح..

قبّلتُ سارية العلمْ

أقسمْت باسْمكِ يابلادى

وكُنْتِ لى خْيرُ القسمْ

أن أُعلنَ الصهيلْ

وأطْرُدَ الدخيلْ

وأرْفضَ العدَمْ

ياأيها الوهم الجميلْ

فلتّستعدى للرّحيل

قد صارَ حُبّكِ مُستْحيل

فى ذلكَ الزمن البخيل

أنا لم أعُدْ أملكُ شيئاً

كىْ أقدمه إليكِ..

أنا فى انتظارك..

بْعتُ أشياءً كثيرة

لم تكُنْ أبدا تُباعْ

بعْتُ الشبابَ..

ورهنْتُ مملكتى..

بأسواق النخاسة والضياعْ

أنا بعْد حبُك..

لم أعُدْ أمْلِكُ شيئا..

غير آثار السنين..

وأمام كُلِّ الناس..

افتعلُ التماسُكَ..

أنكرُ الزمنَ الحزينْ

ولكمْ كَتمتُ من الأنين

بالرغم من أنى أبيع الفرحَ

مُختارا لكُلَ المتعبينَ

كُلُ الذى منى تبقى

أخفيْتهُ بدفاترى

ماعادَ حتى الشعِرُ ينفعُنى..

ويبطلُ ضغْطىَ العالى..

ووطأة سُكَرِى

فخُذِى متاعكِ وارْحلى

أرْجوكِ لاتتمهلى

أرْجوك لاتتمهلى

أرْجوك لاتتمهلى

امرأة.. من وحي جنوني

ياواحدتى..

أعترف الآن بأنى:

عُشْبٌ همجى

ديك هندى

قط ليلى..

أتقافز فى الشرفات

أتسكع فى الحارات

وأنام قريرا فى الطرقات

وأصاحب قطط الليل..

ويستهوينى..

أن ازرع رأسى

بين كفوف الفجريات

ياواحدتى

أعترف بأنى:

جذرى مزروع فيك..

وفى عينيك..

وفى شفتيك..

وفى العتبات

وبين ملابسك العادية

وقهوتك اليومية

أعترف بأنى.. مغروس فيك

«من رأسى حتى قدمى»

لكن غصُونى..

تنمو فى خارطة أخرى

أتنفس فيها كافورا

أركب فرسا مغرورا

يلقينى قهرا..

فوق عيون البدويات

عند بحور الجنيات

لكنى أرجع مقهورا

وأطلّق زمن الحوريات

فلقد أدمَنتُكِ سيدتى

وعشقت سذاجة عينيك

وألِفْتُ بساطة شفتيك

والشال المهمل فى كتفيك

والشاى البارد فى كفيك

أدمنت غباءك سيدتى..

ودعاءك لى:

بالستر وطول العمر..

على العتبات

وحين تطل نجوم الليل..

أتحول شيئا أسْطوريًّا

أتبدل جنِّياً..

أبحث عن لغة أخرى

غير اللغة اليومية

أتصفح وجه امرأة أخرى..

ليست نمطيَّة

تتضوَّعُ عطرا مجنونا..

تصهل كخيول برِّية

لاأدرى نوع صناعتها..

ولاأسلوب صياغتها

لحروف اللغة العربية

تحترق يداى إذا لمست

يوما بشرتها النارية

تفهمنى من غير كلام

تعشقنى من غير روِّيةْ

أتجاوز معها ولاأخشى

كل الأشياء الشكلية

انى أحتاج إلى امرأة..

ليست «نكدية»

تصبح راقصة من أجلى

تصبح راهبة فى الليل

تصبح عابدة فى الفجر

وأُصَلّى خَلْفَ إمَامتِهاَ..

كل الصلوات الشرعية

إنى أحتاج إلى امرأة..

ليست عادية

تتماوج زرقة..

كل بحار العالم..

فى عينيها

يتمازج طعم الشهد..

مع الكافور..

على شفتيها

ترتاح طيور الحب..

على كتفيها

ينبع نهر النيل ودجلة..

من نهديها

أكتب تاريخ العشق..

على خديها

ألثم كوليدٍ مبهور

مسرى قدميها..

تهتزْ الدنيا إن دقَّتْ..

يوما كعبيها

ويميل الهرم إذا كشفت..

يوما ساقيها

وحين يداهمنى الحزن..

أجد لديها..

دُنيا أشهى..

زمنا أبهى..

أشرب خمرا أسطوريا

من كفَّيْهاَ

وتحاصرنى بكتائبها..

عند الغضب..

وحين أثور عليها

إنى أحتاج إلى امرأة

من صنع جنوبى

من وحى فنونى

أسكنها حبات عيونى

إنى أحتاج إلى امرأة..

ليست رجعية

تكسر قانون العصر..

وتؤمن بالثورية

امرأة لاتقبل أبدا..

بطقوس العشق العادية

تمطرنى إن شاءت توتا

تزرعنى ذرة شامية

أتحول معها صعلوكا

وتصير بكفى جنية

تخترع دليلا للعشق

أتعلم منها الوطنية

تعصرنى فأصير شرابا

يشفى أوجاع البشرية

أكتشف بساحتها أنى..

أول من دكّ المرتفعات

ومحا الأسوار الصينية

وأعانق فى ساحتها دوْماً..

خيْلاً عربيًّا..

نخلا سينائيا..

وشجيرة قطن مصرية

أجمع من أيكتها..

بلح الشام..

وموز المغرب..

وثمار التين الحلبِّية

أتشمم فى حضرتها..

رائحة البن اليمنية

تصبح رغم العرب جميعا..

جامعة عربية

ياواحدتى..

أعترف بأنى:

عُشْب همجى..

ديك هندى..

قط ليلى..

أتقافز فى الشرفات

أتسكع فى الحارات

وأنام قريرا فى الطرقات

وأصاحب قطط الليل..

ويستهوينى

أن أزرع رأْسِىَ..

بين كفوف الغجريات

لكنى.. أرجع مقهورا

لأركب فرسا مغرورا

وأطلِّقُ زمن الجنِّيَّاتِ

فلقد أدمنتك سيدتى

وعشقت سذاجة عينيك

وألفت بساطة شفتيك

والشال المهمل فى كتفيك

والشاى البارد فى كفيك

أدمنت غباءك سيدتى..

ودعاءك لى:

بالستر وطول العمر..

على العتبات

ياشاعر هذا العزف المفرد
رسالة إلى نزار قباني

يانزار.. ياوطنا.. ياعشقا

ياعطرا.. يامطرا.. يازهرة

.. ياغنوة حب.. ياثورة

ياجرس الأيام المُرَّة

ياشاعر هذا العزف المفرد

هل حان الوقت..

لكى يرتاح الفرس المجهد!!

هل حان الآن..

لرأسك أن يتوسد؟

هل حان الآن.. لجسدك أن يتوحد؟

إِحْمِلْ دفترك الآن وسافر..
علمنا أن نبكيك وأن نحكيك
وأن نفتقد جسارة شاعر
وأن نتوجَّع قبل رحيلك
وان نتوقَّع بعد رحيلك
زمنا لا حب به..
ولاإخلاص
ولاإحساس ولاشعراء
ياشاعر هذا العزف المفرد
فلتترجَّلْ.. لاتتمهل
أحمل معنا هذا الجسد المُثْقل
فمثلك أبداً لايُحْمَلْ
أرجوك ترجَّلْ..
كى تتلقى عزاءك فيك
وفى بلقيس..
وفى الشعر المهمل والمُرْسَلْ

فاحمل ياشيخ طريقتنا ..

عن كاهلنا

شجر اللوز وزهر النرجس والحنَّاء

وهموم البسطاء

ياصاحب هذا العزف المفرد

من يحمل عنا هم الوطن..

وزمن الشجن

ومن يتصدى للأوثان؟

من يبطل سحر الكهان؟

من يبكى فى ظلمات النكسة والأحزان؟

من يرقص فى فرح الأوطان؟

من يرسم خارطة أخرى..

باسم الإنسان؟

من يمنحنا قنديلا..

من يعطينا منديلا؟

لنجفف دمع الأعين

حين يضيع الوطن

حين يشيع الحزن

وحين يداهمنا الطوفان!!!

ياصاحب هذا العزف المفرد

نحن وقوف عند الباب وبالأعتاب

كى نتعلم..

كيف يكون الوطن عزيزا

حين يعيش..

وحين يموت

وحين تفاجئه الأنواء

كيف تكون المرأة عطرا

مطر.. شعرا.. شجرا..

فى كل الأشياء

وكيف تظل المرأة أنثى..

فى كل الأنحاء

مرسوم فوق أناملها

وعلى أطراف كواحلها
كل فنون الفتنة والإغواء
محفور فوق الصدر المرسل نهرا
ينزل فيه هواة الغوص
يغرق فى لجته..
كل فحول الحكمة والحكماء
تعجز فى ساحته..
أخيلة الشعراء
ياشيخ طريقتنا عذرا..
إن فَرغَتْ محبرة الكلمات
وانسكبت فوق قصائدنا..
بعض العبرات..
من بعدك سوف يعلمنا
أن نكتب فوق حوائطنا
وعلى أشجار حديقتنا
شعرا بالنشوة ننشده..

وبكل الشوق نردده..

فى محراب الحب وفى الشرفات

وعند الفرَح.. وبعد الجرَح

وحين نجهز للغزوات

الآن قد سقط الجواد

لاتغضبى ياشهر زاد..

فالآن قد سقط الجواد

والحزن قد ثقب الفؤاد

وشهريارك لم يعد..

يشتاق للزمن القديم..

أو يعشق القصص المعاد

ماعاد غولك يعتليه

ولاخيولك تمتطيه

ولاحكايا السندباد

ماعاد صوتك..

فيه سحر الشرق..

يحمله..

ويمطره..

على كل البلاد

لالم تُعدْ..

تلك الحواديت القديمة..

تحتويه..

من بعد أن ثُقِبَتْ

عيون الأهل وانتحرت..

بساحتنا الجياد

لاتحزنى ياشهر زاد

فالفرس والرومان..

قد عقدوا اتفاقا..

أن نموت.. وأن نباد

فالموت صار جريدة يومية

وعقيدة قومية..

من لم يمت بالسيف مات..

بالغفلة الكبرى..

وزيف الأمنيات

حُرقت مصاحفنا

سرُقت صحائفنا

بعد أن صرنا مطايا..

للغباء وللعناد

وتمزقت.. أعلامنا البيضاء..

فى كل البلاد

فى القدس.. فى لبنان..

فى الشيشان.. فى السودان..

وفى.. وفى.. وفى..

فالموت صار عشاءنا اليومى..

نشيدنا القومى..

من بعد أن أدمى خطانا..

جيش من النمل المشاكس..

واعتلى أكتافنا زمن الجراد

لاتعجبى ياشهر زاد

فقلوبنا احترقت..

وقد صارت هشيما..

من قال إن النار تبعث فى الرماد!!

إنَّا حشونا صدرنا..

ببلادة الإحساس..

والقطن المتبِّل..

بالغباء وبالحياد

ولقد سقطنا عامدين

فى كهوف الاعتياد

لا.. لم يعد شىء..

يؤرِّقُنا.. ويحرقنا..

لنحمى.. ماتبقى من مصاحفنا..

ونرفع كل رايات الجهاد

لاتجزعى ياشهر زاد

فلقد تأكد شهريارٌ..

أنَّ ليلك دائم

وأن صبحك غائم

ولن يعود لك النهار

فالديك قد سرقوه منك..

وحاكموه لأنه..

كم يزعج السلطات..

وقع صياحه ونباحه..

يغتال أسماع الخليفة..

ومن حشوا حدقاتهم..

ملحا رشيديًّا..

زيتا خليجيًّا..

وخالوا أنهم بغبائهم..

دخلوا المحار

لن يدرك الأجلاف ذيلهمو..

لأنهمو.. بكل مهارة..

دهنوا وجوَههمو سوادًا

أصبحوا..

فى عالم الحيتان حملانا..

وضعوا..

على الشفتين والعينين والأذنين..

أقفالا حديدية

وأكفانا حريرية

فى صحة الشهداء..

كم عقدوا اتفاقات نديَّة

للهوى والعشق..

وبحسن النوايا..

كم بعثوا الهدايا..

للمجوس وللتتار

لاتفزعى ياشهر زاد

فالديك صار مُجَنَّدًا..

فى جوقة السلطان..

يعزف لحنه..

يَعرضُ لحمه..

وباختصار..

الديك صار موظَّفاً..

ومصنَّفاً.. بوقا نحاسيا

ومراسلا للخوف..

فى كل الديار

فلتهدئى ياشهر زاد

إن لم يكن مسرور عاد

فعساكر السلطان قد قبضوا عليه

ضبطوا لديه..

قنينة مملوءة زيتا خليجيا

وبعض دراهم السلطان..

وخَّبأَ فى السراويل البغايا

وتحت الإبْطِ..

قد وجدوا قرارا للخليفة..

أن يُرَقَّى..

ذلك السياف كى يبقى..

خبيرا فى الفرار

و ألبسوهُ..

تاجا من الحلوى..

وحلة مسروقة من شهريار

ودربوه مع الكلاب..

كيف يغتال الأُباة

وجرَّدوهُ..

من سيفه الذهبىّ

وأبدلوه

بتميمة خشبية

وكتابة عبرية..

تعنى بأن الوقت فات

وأن الحلم مات

ويمامة التاريخ..

قد ذبحت بأيدينا..

وماضينا..

تمزق فى جبال الخوف..

ألف شريحة..

والكل أصبح فى شتات

والأمهات..

قُتِلتْ بلا ذنب..

وقد وأدوا البنين مع البنات

لم نكترث..

حتى ولاقامت قيامتنا..

ولاتعبت ضمائرنا..

من الخمر المعتق والسُّباتْ

لاتفْزعى ياشهر زاد..

ولَتْخلَعِى ثوب المنى..

ولتلبسى ثوب الحداد

فالحزن قد ثقب الفؤاد

ماعاد ينفعنا الدعاء

ماعاد يجدينا البكاء

والآن.. قد جف المداد

ماعاد.. حيَّ على الفلاح

ماعاد.. حيَّ على الجهاد

فالآن.. قد سقط الجواد

الآن.. قد سقط الجواد

الآن قد سقط الجواد

٢٠٠٠/٣/١

إلى الفتى «زويل»

يازُويْل..

يانفحة من أرض مصر..

وياتميمة العرب

هل كنت حينما..

تحاصرُ الدقيقة.. وترسم الطريقة

هل كُنت يومها مُحَملا..

بألفٍ كيس من ترابِ مصر..

من تراث مصر..

ومن خيول صبْوَتك؟

هل كنت يومها مُحملا..

بألف دعوة من أمك التى..

تحملتْ سنينَ غيبتك؟

وهل حمّلت لوحَ الإردْواز..

ودواة حبْرك القديم..

وآية الكُرْسِىّ..

وبعض أوراد الدسوقىّ

وعروسةً من مولد الحُسيْن..

خبأتها معك؟

هل استشرت يازُوَيَل

كُل الفراعين الأُلى

وهل رجَعت يازُويل

إلى معاجم العرب

وهل رسمْت فوق حائط الزمان

خرائطاً مغايرة؟

وهل زمانك الذى اخترعْتَه

رأيْتَ فوْقَهُ.. اللّهَ والوطن؟

وهل قهرتَ لعبة الزمن؟

وهل غلبْت فى اقتدارٍ..

حقائق الكتبِ؟

وهل قلبْتَ فى انتصارٍ..

تراب هذا الكون كله.. إلى ذهب؟

وهل كتَبْتَ فى وثيقة الزمان

بأن دينَك السلام

وأنه يعيش تحت جلدك النبيل

ألف ألف مئذنة؟

وهل قهَرْت يازُوَيْل من خلال مجهرك

حماقة الثوانى؟

ثم اخترعْتَ عالما مُغايرا من المعانى

وهل لبستَ فوق معصمك..

سُويْعة مغايرة..؟

ثم اختزلت دهرنا الطويل

جعلته زوالا..

ورُبما .. ألغيت فيه الثانية!!!

يازُويَلٌ.. يانفحة من أرض مصر..

وياتميمة العربْ

ياأيها النيلُ الذى..

يسيرُ دائما مُحَملا.. ببشارةٍ مصرية

تقول دائما بأننا.. سنعيدُ مجدَنا

ونحيلُ طينَ هذا الكون كله إلى ذهبْ

منا إليك يازُويْل..

ومن ترابِ أرضنا

ومن عيون طفلنا

من النقوش فوق حائط الهرم

من كل نجمّات العلم.. الحب والسلام

منا إليك يازُوَيْل

ياطفلنا النبيل

ياحُلَمنا الجميل

حفنة من نيل مصر..

ومصحفا.. ووردة.. ومِسبْحة

جريدة الأهرام

١٩٩٩/١١/١٩

زمان الغناء الجميل

لأنى أحبك عبر الزمان
وأنى عشقتك بعد المكان
وكنت بعمرى الزمان الجميل
وكنت لقلبى الهوى المستحيل
تحولين بينى وبين النساء
جميع النساء ولامن سبيل
فكل العيون..
عيونك أنت
وكل الحصون..
حصونك أنت

وكل الجنون جنونك أنت

كعصفورة تسكنين الحنايا

يداعب منقارها المخْمِلِىُّ..

صدْرِىَ المستكين..

فيفرخ فى كل يوم قصيدة

وقصة حب بغير انتهاء

تعود إلى الزمن العبْقَرِىِّ

تُعشّشُ فيه..

وتمنع عنى جميع النساء

وقلت الزمان..

كفيل بأن يحجب الشوق عنى

وقلت المكان..

كفيل بأن ينزع الحب منى

أحطم خلفك كل المرايا

وأعرف بعدك كل الصبايا

وأُسْكِنُ بعدك شوق الحنايا

لأنسى زمان الغناء الجميل

بلا فائدة..

فكل الأغانى

تطاردنى.. بسياط التذكر والانتماء

تذكر قلبى بأيامنا

وأيام كنا وكان الغناء

فاذكر كل الذى بيننا

وأيام كان الزمان الجميل

بصفو الليالى يغنى لنا

وليلى مراد..

ترشرش أنغامها حولها:

«أطلب عينه..

قلبى وعينه فداك

غاليين عليه..

وأغلى منهم رضاك»

وعبد الوهاب.. يُغنِّى لنا وحدنا..

«من قد إيه كنا هنا
من شهر فات والَّلا سنة
أيام ماكنا لبعضنا
والدهر غافل عنّاً»
وصوت حنون لعبد الحليم
يعيد الصفاء إلى ليلنا:
«بس قلبى لسه خايف من الليالى
وانت عارف قد إيه ظلم الليالى
والليالى تعمل إيه فينا الليالى
حبنا أكبر وأكتر من الليالى»
وصوت فريد..
يداعبنا بكلام جديد
وفاتن تسأله أن يغنى
فيشدو وحيد:
«ليه الدنيا جميلة وحلوة
وانت معايا

ليه بتخلى القلب فى نشوة

وأنسى أسايا»

وتُومة تردد بعد العشاء

بحلو الغناء:

«جددت حبك ليه

بعد الفؤاد ماارتاح

حرام عليك خليه

غافل عن اللى راح»

وصليت كى أنزع الذكريات

وزكيت كى أمنع الأمنيات

لأنسى هواك الذى يسكن الأوردة

ولافائدة

ولافائدة

ولافائدة

تجليات
مهداه إلى روح شيخنا
محمد متولى الشعراوى

فى حضرة سيدنا الطيب

تحدث أشياء لانفهمها..

وقد نفهمها..

أشْيَاءٌ دوما تجعلنا..

نستشعر ذنب الخطَّائين

ونجود بدمع البكَّائين

ونسير بدرب التَّوابين

ونردد اسمك ياالله

ياغافر ذنب المضطرين

ياسيدَنا..

هل تذكر حين بكيَتَ عليّ؟

هل تذكر حين أتيْتَ إليّ؟

لتهدهد هذا الوحش..

الساكن فى جنْبىّ..

وتعالج حمقى وجنونى

وتطارد صلفى وغرورى

والجرح الغائر فى قدَمّى

وتبلل بالتوحيد فؤادى

وتكبل جهلى وعنادى

وتعيد كتاب الله إلى شَفتىّ

ياسيدَنا..

فى حضرتك عرفت الله

وبين يديك حضنت الضنّى

عفوا ياسيدنا عفوا..

إن كنت سأعلن ظنى

إن كنت سأفصح أنى:

جهلت طريق الله..

وتخيلت بأن الله بعيد عنى..

لاأعرفه.. لايعرفنى

لن يغفر ذنبى..

أو يقبل توبى..

أو يغسل ثوبى..

ويتوب علَىّ

ياسيدنا..

فى حضرتك..

شربت مياها لاأعرفها

فى حضرتك..

طعمت بخبز لم آلفْهُ..

وبين يديك..

وجدت فواكه هذا العالم،،

بين يدَىّ..

فصرخت بوجد: ياالله

المرأة نقطة ضعفى

والدنيا ياالله.. تتحدانى..

تصنع خوفى..

والزاد قليل لايكفى

فتقول بنورك ياالله:

ياعبدى..

لاتعبد غيرى

لاتقصد غيرى

وبكرمى سأتوب عليك..

وأمد إليك..

قنديلا من نور الله

وسأبسط دوما كَفّىَ

ياسيدنا..

فى حضرتك عرفت الله

وبين يديك حضنت الضنّى

١٩٩٨/٦/١٦

عصفور النار

وكان لدىَّ عصفور وعصفورة

برغم الأسر..

يحتضنان.. يبتسمان للصورة

ويقتسمان أوجاعى.. بزقزقة

لها طعم الغناء المُرّ..

مختنقاً بأسماعى

وكم صنعا..

حكايات عجيبات لامتاعى

وكم جمعا..

حبوب القمح مقشورا لإشباعى

وعند الليل.. يشتكيان.. ينتحبان

من قفصى وقضبانى

فأفتح مشفقا بابى وأحضانى

فيفترشان أكتافى

ويغتالان أحزانى

ويستمعان فى شغف

لأناتى وأشعارى

وكانا يكتبان الشعر مثلى..

فوق دفاترى..

وعلى شباك أفكارى

تمازجنا.. فلم أعرف..

هل العصفور كانا هما..

أم أنا.. حين لجأت للطيران

وهل كانا هما نفسى..

لأنهما..

على الشباك قد كتبا..

كثيرا من مُناجاتى وأشعارى

ومن هول الذى كتبا..

فقد بكيا على كتفى

وراحا يذرفان الدمع

فى شجن بأحضانى

وفى غدنا..

يخون عهودنا العصفور

يطير إلى الفضا والنور

ويلعن زهر بستانى

فنبكيه.. وترثيه العصافير التى..

جاءت تعزينى

فأهتف والفراق المر..

يسرى بين أوردتى

ويصرخ فى شراييني:

أيا عصفورتى الثكلى..

كفى حزنا.. على من باع أيكتنا

كفى دمعا .. على من خان عشرتنا

ونقرأ ألف فنجان

ونقصد ألف عنوان

وننشر ألف أعلان

لعصفورى لكى يأتى.. ولايأتى

ونغلق كل شباك.. فتحناه

ونهمل كل بستان.. زرعناه

ويبقى الباب مفتوحا .. بداخلنا

لكى يأتى لنا يوما ..

وبالأحضان نلقاه

وعند عشائنا يوما ..

يدق الباب دقات لها معنى

ونعلم أنه العصفور..

أتى يبكى وقد ضاعت جناحاه

ويحكى قصة الدنيا التى ذهبت..

بيمناه.. ويسراه

ولم يدرك بفطرته

بأن النار غير النور

ويبكى عشه المهجور

وتهدأ زقزقات الحزن..

فوق شفاهه الثكلى

ولم يكمل حكايته..

وفوق صدورنا أغفا

وقد ماتت أغانيه

وقد هدأت جناحاه

١٩٩٩/١٠/٥



يانوار
إلى شاعر اللون أحمد نوار

وحين تفاجئك النَّوةُ القاهرية

تصير غبارا .. ونورا ونارا ..

تلف أصابعك المرمرية ..

بألف شَرِيطٍ ..

من الورد والوجد والجُلُّنارْ ..

تجئ إليك جميع العرائس ..

كى تفتديك .. وتُبحِرُ فيك ..

تصير أثيرا .. ونخلا كثيرا ..

وتمطر فينا .. سحاباتك القرمزية

وفرشاتك الأحمديه

ترشرش فينا جداول عشق

ترقرق فينا المنى العبقرى

تدغدغ فينا الصبا والجنون

وتفرش وجداننا بالحرير

وتغسل أحزاننا بالعبير

وبالأغنيات.. وبالأمنيات

وبالعبقريَّة

وحين تفاجئك النوة المخملية

تصير شعاعا.. وتعلو شراعا..

تسافر فى عالم اللون والمستحيل

وتأخذنا بالخيال الجميل..

إلى عالم ضاع من كفنا..

تاه عن دربنا.. وتلقى بنا..

فوق هام النخيل..

تعيد إلينا..

زمان الطفولة والشاعرَّيه

وحين تفاجئك النوة العنبرية

تصير حنينا.. تعود جنينا..

وطفلا جميلا

يعانق وجه البراءة فى كُلِّ شئ يراه

وعند التهجِّى..

يرشرش فوق الحوائط..

ألوانه القرمزية

تعود لأيامك المشتهاة..

فتصنع فيها وجوها..

من الشوق والعشق والأمنيات الصبيَّة

ترشرشها بالهوى العبقرى..

وبالأغنيات الندِيَّة

وعشق الجنين لنور الحياة

ورائحة اللوز والموز والمشمشية

فتشرق دنياك لونا جديدا

ولحنا جديدا

تذكرنا بالوجوه التى غادرَتنا
والكفوف التى أمطرتْنا
بحارا من الزيف والجاهلية
وحين تحاصرك النوة اليعْرُبيَّةْ
تصير سيوفا .. وتعلو كفوفا
وترفض إدماننا للكلام
وأحلامنا فى السلام
وتلعن فقداننا للهويَّة
ويهزم لونك ألف ادعاءٍ
بأنَّا رفعنا اللواء..
ويعلن أحمرك القرمزى
بأن الموائد قد حاصرتنا
وأن المواقد قد أحرقتنا
وأنا نزفنا جميع الدماء
وأنا نسير بدرب عقيم
من الخوف والزيف والانحناء

وأعلن أسودك المستباح

بأنَّا فقدنا..

وشاح العروبة والكبرياء

ورحنا نولول فى كل درب

ونصرخ من كل جب

بأنَّا.. رددنا السهام إلى نحرنا

غرسنا السيوف بأحشائنا

وأنَّا بكل اقتدارٍ

ودون اعتذار.. ذبحنا القضية

وحين تفاجئك النوة القاهرية

أقَبِّلُ كفَّيك.. عينيك.. خدَّيك..

أنا ملك الشاعريَّة

أعانق أكتافك البابلية

وأعلن أنى أسيرٌ لديك

وأصبح لونا عجيبا غريبا

على طرف إصبعك القرمزيَّة

وأصبح طيرا طليق الجناح

على صدرك المستحم بماء البراءة..

ولوحتك المخملية

٢٠٠٠/٤/٢٧

أعينيني على حبك

أريحيني.. على صدرك

أعيديني.. إلى نهرِكْ

أعينيني.. على حُبكْ

وإياك أن تعلِنِى ذات يوم..

بأنى أحُبك..

فإن ورائى جيوش المغول..

تطالبُ بالثأر منى.. لأنى..

لأنى أحبك..

تطالبُ بالثأر منى.. لأنى..

كلامى بسيط.. بسيط

يسافرُ فى رئة العاشقينْ

ويصنع أرجوحة للصغار

ويزرعُ تفاحة للكبار

وحُلما جميلا..

لكل الحيارى وللمتعبينْ

أعينينى.. على حُبك

فإنى..

قد فقدتُ براءةَ الغلمان..

فى بُعْدِكْ

وأنى..

قد خسرتُ شقائق النعمان..

من بَعْدك

وأنى..

قد زرعتُ الأرض بالأحزان..

فى سفركْ

أعينينى.. على حبك

فمازالت مناديلى..

معطرة برائحتكَ

ومازالت قناديلى..

منورة بأغنيتك

ومازالت جلابيبى..

معفرة بأتربتك

ومازالت مكاتيبى..

مُسافرة لأوردتكِ

أعيدينى.. إلى نهْركِ

فإن الطفلَ مشتاقُ..

إلى ثغركِ

وحلمى صار مشدودا..

على وترك

وعمرى صار موصولا..

إلى عُمْركِ

وكم فتشْتُ عن وطن..

به ناسٌ تحبُ الناسَ..

فلم ألق سوى وطنكَ

وكم ساءلتُ عن سكن..

يلمُ شتاتُ أمتعتى..

وفيه تنامُ أشرعتى..

فلم ألق سوى سكنكَ

أريحينى.. على صدْركَ

فكل قلائدى صدِئتْ

وكل تمائمى بُلَيتْ

وأوْسمتى بدَتْ وهما..

وأحلاما خُرافيَّة

وتيجانى بدتْ ورقا..

مرصعة..

بزيفِ الماس والياقوتْ

وأقنعة نُحاسيَّة

أريحينى.. على صدركَ

أعيدينى.. إلى نهْركَ

أعينينى.. على حُبكَ

وإياكِ أن تعلنى ذات يوم..

بأنى أحبكَ..

فإنى ورائى جيوش المغول..

تطالبُ بالثأر منى.. لأنى..

لأنى أحبكَ

تطالب بالثأر منى.. لأنى..

أسافر فى رئة العاشقين

وأصنع.. أرجوحة للصغار

وأزرعُ.. تفاحة للكبار

وأحملُ حلما جميلا نبيلا

لكل الحيارى وللمتعبين ١/١٢/٩٩



ياكوسوفو.. سامحينا

ياكوسوفو.. مزقينا

أشعلى النيران فينا

احرقينا..

واحذرى أن تعذرينا..

أن تتركينا..

فى سبات الموت.. والمتناومينا

وابعثى بعضا من القتلى لنا..

لعلنا.. نصحو جميعا من قبور الميتينا

ياطفلة مذبوحة.. بكفوف المسلمينا

اصرخى.. لاتسكتى.. لاترحمينا

إملأى الدنيا بكاء وأنينا

أن خرسْنا أو عِمِيناً..

أوسكتنا مرغمينا..

وبَدوْنَا شامتينا

وجَهِلْنا.. حكمة الإسلام..

والتاريخ فينا.. صدقينا

جرحنا ياأخت موصول..

ومحْشوٌ بملح الصبر..

حتى.. لو بدونا صامتينا

فاعذرينا..

إن عقدنا فوق جثتك الذبيحة..

ألف مؤتمر كسيح

وأقمنا قبل موتك مأتما

ووضعنا فوق رأسك مصحفا

وزرعنا حول قبرك ياسمينا

ياكوسوفو.. سامحينا

•

صارت الأحزان تلعننا..

وتخترق العيونا

وكلاب الصيد قد راحت..

تراوغنا وتملؤنا جنونا

أحكمت فوق الوجوه..

قناع غفوتنا.. فنمنا وسئمنا

ونسينا أن نحاسبهم..

على الغدر سنينا

ياكوسوفو.. علمينا

كم يكون الصبر مشكاة.. لكل الصابرينا

كم بكت فيك المآذن..

وخلت كل المساجد

من صلاة الخاشعينا

وأقاموا فى مساجدك المواخير التى..

جمَّعت أعنابها..

من دماء الساجدينا

وصلاة الفجر لم تشفع.. لكل العابدينا

أصبح المسجد قبرا.. مثلوا بالمؤمنينا

أهدروا فيك البراءة.. عامدينا

مزقوا فيك الطفولة

أحرقوا فيك الجنينا

ياكوسوفو.. حاسبينا

ياوردة الإسلام فى قوم..

تنادوا دائما..

بالموت للإسلام دينا

ياكوسوفو.. العنينا..

إن تركنا شعبك الطيب يمضى..

من ديارك مستكينا

إن جرحك لن يهون..

على الرفاق فصدقينا

سيطيب الجرح.. إن عزت مصاحفنا

وكنا دائما متوحدينا.. ويومها..

سوف ينمو من دماء الشهداء..

ألف مئذنة..

ودمع القلب..

يطرح ياسمينا

٢٠٠٠/٤/٤

هل ترقصين معى؟

اليوم.. أقبل عيدها

بدأت ترانيم البيانو

تستجيب لخطوها

فسألتها:

هل ترقصين معى..

رقصة التانجو التى أحبها؟

لم تستجب.. لكننى شاركتها

فى رقصة الفالس التى تحبها

فتطايرت..

نحو النجوم برقصها

وتدللت كفراشة.. فى عرسها

أسرت قلوب الراقصين بحسها

سبقت ترانيم الكمان بشدوها

وتبدلت كيمامة مبهورة بجناحها

وأنا أحاول دون جدوى..

أن ألاحق خطوها

تركت يدى..

راحت توزع فى ابتسام حسنها

ويفوح فى كل الأماكن عطرها

ويفيض فى كل المدائن نهرها

حاصرتها بكتائبى..

لكننى ماطلتها

راحت تراوغنى وتلقى..

للفضاء بشعرها

وتلملم العشاق من كل البلاد بسحرها

المهرة السمراء والبيضاء..

قد راحت تثير غبارها

نسيت بأنى كنت فارسها

كنت حارسها

نسيت بأنى كنت يوما مهرها

نسيت بأنى قد نزلت ببحرها

سَبَحتُ بِنهرِهَا

لكننى بمهارتى..

حاصرتها.. خاصرتها.. وجعلتها..

تلقى على كتفى بمرمر كِتْفها

فتساقطت..

وبدون أن تدرى جدائل شعرها

وتسابقت تلك الجدائل..

كى تقبل خدها

وبدون أن أدرى..

همَسْتُ بأذنها:

إنى أرى بعضا من الشعر الرمادى الملامح..

يستبيح جبينها

أغضبتها .. ياليتنى ماقلتها

فتوقفت محزونة..

عن رقصة الفالس التى تحبها ..

وأومأت للعازفين..

برقصة «التانجو» التى تهابها

ودندنت بغنوة..

قد كنت مثل حبيتى أشدو بها ..

«أطلب عينيه.. قلبى وعينيه فداك

غاليين عليه.. وأغلى منهم رضاك»

وتثاقلت خطواتها ..

وتبدلت قسماتها ..

وتحولت لفتاتها ..

إنى بكل سذاجة أغضبتها

فذهبت فى ندم.. لأخطب ودها

ومضيت فى خجل.. أُقبِّلُ خدها

وحملت فى كفى..

هداياى التى أخفيتها

صبغة للشعر كانت..

فى يدى خبَّأتْها

ضَحِكَتْ بسخرية وقالت: ياحبيبى..

كم أنت محبوب كريم..

فعشرتى ماخنتها..

أما أنا.. فهديتى منى إليك..

علب من الصبغات عشرا..

بخزانتى.. قد كنت يوما صنتها..

عشرا من السنواث فى صدرى..

ولم أعلن بها..

فنظرت فى المرآة فى خوف..

لأعرف رأيها..

فأقول: يـ ... ااااا..... هْ

كم مرت الأعوام مسرعة..

فلم أشعُرْ بها..

لم أدر أنى قد زرعت بساحتى

غيطا من القطن المتبَّلِ بالغباء على عيونى

وفوق رأْسِىَ الذى نسيته.. فى رحلتى

وكم ضحكت ساخرا.. من غفلتى

وذهبت للتانجو..

أراقص من جديد طفلتى

وأنا أردد دون أن أدرى..

لثومة غنوة..

جعلت دمى يسرى..

مع الآهات والخطو الوئيد

أسترجع الزمن البعيد

ولاأصدق أننى..

قد كنت يوما..

ذلك الطفل السعيد

وأقول: يـ.... ااااا..... هْ

يا أيها الزمن العنيد

«وعايزنا نرجع زى زمان

قول للزمان ارجع يازمان»

ومضيت فى خجل.. أراقص طفلتى

وأضم فى شغف ضفائر طفلتى

وأروح فى ندم أقبل رأسها..

وأبثها..

بعضا من الغزل الذى أخفيته عنها..

وأعلن توبتى

٢٠٠٠/٥/٥

طيارة من الورق

تجيئنى بلا انتظارْ

من بعد أن أعطت..

رئيس الجُنْد خاتمها

كى يغْمضَ العيْنين عنها..

وكى يفك لعْنة الحصارْ

تجيئُنى بلا انتظارْ

من بعد أن ألْفتْ..

محطات الوصول..

وغافلتْ سنابكَ القطارْ

توهَّجت عيونُها..

بدمْعَتين تعلنان الاعتذار

وخَّبأت بكفِّها..

رسالة تآكلت حروفها..

تبَدلت ألوانُها

كنتُ قد ألقيْتُها..

من ألفِ عام أو يزيدْ

فى غفلة منها على شبّاكها

منذ التوهجِ الذى..

ألقى بقلبىَ عند سُور بيْتها

وبعدها..

تحدبت فى الأوْجه المْرايا

ولم يُعدْ يزورهَا الربيع

ولم يعُدْ تزورنا الصبايا

فأقبلت لتعترفْ..

بأنها لم تكتشفْ..

رسالتى المعْطرة..

إلاّ حينما.. قد صاح يوما طِفلُها:

فلْتَنْظري أماه كيف أننى..

صنعْتُ باقْتدارٍ

طيارة من الورق

١٩٩٩/٩/٣

ياملك.. ماأجملك
مهداة إلى روح الشاعرة الشهيدة
ملك عبد العزيز

ياملك.. ماأجملك

حينما تُطَرِّزين ثوبك القديم

بوردة من الأثير

وحفنة من النجوم

وتلملمين طرفه..

بهالة من الحرير

وُتلونِّين صدره..

بزنبقات.. من شعاع الحلم

قد أتى بها..

من عالم الشعر الأمير

ياملك.. ماأجملك

حينما تُبَدلِّين قُرْطَكِ المُثيرَ

بغيره.. من لؤلؤ البحار

وعالم المحار..

وقصيدة مسافرة..

على جناحك النبيل

أتى به.. جنَى شِعُركِ الجميل

ووشوشات الطير والشجر

ودفاتر الخليل

وحينما تعالجين فى اقتدار..

علة العليل

وحينما.. تحاصُرين بالحوار..

زماننا البخيل

ياملك.. ماأجملك

حينما للحلم تأخذيننا

وحينما.. بالشعر تملكيننا

بألف صوت..

من حناجر الطيور

وألف باقة من الزهور

وأغنيات من زمان العشق..

تشدو حولنا

فيضمُّنا.. على جناح الحبِ والمنى..

مدائنٌ مغايرة..

حدائقُ مُحَيِّرة..

ونرتضى.. من أجل شِعْركِ النبيل..

وحُلْمكِ الجميل

بأن نغيِّر الزمان والمكان والوطن

ياملك.. ماأجملك

حينما.. تُلَوِّحين من نوافذ الوداع

وحينما.. تحاصرين دمعك الودود

وحينما.. تعانقين لوحة لم تنته

وقصيدة لم تكتمل..

أتت معك..

أبت أن تترك القطار..

لِكيْ تودعك

١٩٩٩/١٢/٧

صورة زوجتى

أردت.. أن أخاصم النساء

حوَّلت وجهى الذى..

قد أدمن الجمال..

نحو حائط الملل

لأنشغلْ..

برسم وردة مشاكسة

رسمتها..

وريقة وريقة..

لونتها..

بريشة غمستها بأضلُعى

بللّتُ بالندى أصابعى

أغفلت شوكها متعمدا

ألقيت قصة العشق القديم

فى المدى

وقبل أن أتم لوحتى..

لمحت عصفورا يشاكسنى..

ويفسد خلوتى

حاولت أن أهشه

لكنه.. قد راح فى ودّ

يؤانس وحدتى

فرسمته وجعلته..

يلقى بأغنية تغازل وردتى

وعندما سألته: هل أعجبتك لوحتى؟

تلك التى رسَمَتْ لنا وجهين..

وجها لعصفور..

ووجها آخرا للوردة؟

يتعجب العصفور من جهلى

ويضحك ساخرا من غفلتى

حملقت فيما قد رسمت

وضحكت لما قد علمت..

بأننى..

لم ألْقَ باللوحة شيئا..

غير صورة زوجتى

١٩٩٩/٩/٦

وأغمضت عينى..
لأسترجع العبق العبقرىّ
لرائحة التوت والياسمين
وأرجع محبوبة عاهدتنى
وصرنا دُمًى..
بين كف السنين
وأغمضت عينى
لأنسى الذى صرت فيه..
من الحادثات التى..
تخنق الأغنيات..

وزهر البراءة والعاشقين
وأغمضت عينى..
لأرجع ذاك الغلام الذى..
كان يفتح أحضانه فى اشتياقٍ
لأهل المحبة والمتعبين
فَرُحْتُ أفتش..
فى جُعبة الذكريات..
وكل حقائبِىَ المدرسية
فلم ألق إلا كتابا يتيما
يذكرنى بالصبىِّ الذى..
كان يزرع أحلامه سنديانا..
وتوتا وقمحا..
ويصنع من حلمه خيمة
لكل العذارى وللمغرمين
وألمح كراسة للحساب
كنت خبأتها ذات يوم..

لكى لاتُباعَ..
لمن يشتريها ببعض الصحون
رسمت عليها قلوبا وسهما..
و«جيما» و«نون»
وبعض العيون التى أكدت..
أننى حاذق..
فى الهوى والجنون
فقَّلبتُ كراستى فى اشتياق
فَتُسْقِطُ عن غير قصد هشيما
لوردة حب قديم قديم
أعانق فيها الهوى العبْقرِىَّ
وأطلق هذا الغناء النبيل
«ياوردة الحب الصافى..
تسلم إيدين اللى رعاكى»
وأذكر محبوبتى حين جاءت..
لتهدينى بوردتها..

بعيد ميلادى العشرين

وأذكر زوجتى لما..

أتت يوما وبعد سنين

تُقبلُنى وتهْدينى..

بعيد ميلادى الـ..... خمسين

بأجمل باقة كانت..

من الورد الذى أهواه والنسرين

أقَبِّلُ باقتى عشقا..

وأرجع للهوى المشبوب..

للعشرين

أقِّبلُها فتجرحنى وتذبحنى..

وترسل لى بإنذار.. بألاَّ..

أترك الأشواق تسرقنى..

فقد كانت هداياها التى راحت..

تبادلنى طقوس العشق..

أزهارا صناعية

فأغمض عينى..

لأرجع محبوبة عاهدتنى

وصرنا دُمًى..

بين كفٍّ السنين

١٩٩٩/٩/٢٠

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٢٩٣ / ٢٠٠٢

I.S.B.N . 977 - 01 - 8220 - 6